



السنهوري

من خلال أوراقه الشخصية

إعداد
نادية السنهوري
توفيق الشاوي

المنهوى
من خلال أوراقه الشخصية

٢٠٠٥ طبعة دار الشروق الأولى

٢٠٠٨ الطبعة الثانية

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشارقة

٨ شارع سيديويه المصرى

مدينة نصر - القاهرة - مصر

تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩

فاكس: ٢٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)

email: dar@shorouk.com

www.shorouk.com

السنهوري

من خلال أوراقه الشخصية

إعداد

نادية السنهوري توفيق الشاوي

دار الشروق—

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ
صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

صدق الله العظيم

(فصلت، ٢٣)

مقدمة الطبعة الثانية

للدكتور توفيق محمد الشاوى

كلما تقدم الزمن ظهرت عبقرية الدكتور السنهورى أكثر فأكثر، وانكشفت الغمامة التى حاول المغرضون أن يسدلوها على ذكره، ولكن عبقريته أنارت الطريق أمام الباحثين الذين يغوصون كل يوم فى محيطه، وكان لكتابنا «عبدالرزاق السنهورى من خلال أوراقه الشخصية» دور مهم فى إبراز شخصية السنهورى على حقيقتها، فقدمت للباحثين ما كتبه شخصيا بخط يده فى أوراقه الشخصية التى كتبها لنفسه، واحتفظ بها إلى أن جاءت ابنته الدكتورة نادية السنهورى بعد وفاته، ونشرت هذا الكتاب.

ثم جاءت كلية الحقوق فأقامت أول مؤتمر لإحياء ذكرى السنهورى بمناسبة مرور أربعين عاما على صدور القانون المدنى الذى أعده السنهورى، وفى هذا المؤتمر تسابق الحاضرون إلى الإشادة بعبقرية السنهورى، وطالبوا بإنشاء جمعية السنهورى للقانون المقارن، وإنشاء جائزة باسمه للأبحاث الخاصة بالقانون والفقه المقارن.

كما قمت بصفتي زوجا للدكتورة نادية السنهورى لأعلن للجميع بأننا قررنا أن ننشئ جائزة غمولها من عائد نشر الكتب الخاصة بالدكتور السنهورى؛ للمبرزين الذين يكتبون أبحاثا أو كتباً أو رسائل فى الموضوعات التى تبرز أهمية القانون والفقه المقارن، وذلك إلى جانب الجائزة التى أنشأتها كلية الحقوق.

وقد شهد بأهمية كتاب الأوراق الشخصية للسنهورى كثير من الباحثين نذكر منهم: المرحوم الدكتور زكى عبد البر، والأستاذ الدكتور محمد عمارة، والدكتور عثمان حسين عبدالله، الذين ألفوا كتباً عن السنهورى رائد الوطنية والفقه المقارن.

وأخيراً مقالة المستشار الدكتور «على فاضل حسن» التى نشرت بجريدة الأهرام بتاريخ ٢٨ / ٧ / ٢٠٠٣ م نورد نصها فيما يلى:

شهادة حق.... يوميات السنهورى

للمستشار الدكتور على فاضل حسن

مَن من أهل القانون لم يتأثر به؟! أنا شخصيا لم أقو على مفارقة فكره طالبا وأستاذا وقاضيا، على مدى أزمان.. أعود إليه لألقى على مشرع تقنينا المندية العربية تحية الإكبار والإجلال، واقتبس من فقهه ما بقى فى الأرض ينفع الناس.. إنه العلامة الدكتور عبد الرزاق السنهورى.

كل القانونيين نهلوا من وسيطه... وأبحروا فى محيطه.. لكننا نقدم إليهم سبقا نزع من أن أحدا لم يطرقه (من قبل)^(١)!! قطف من يومياته التى حررها بخط يده منذ أكثر من ثمانين عاما (بعث بها إلينا نفر من أقربائه).. سجل فيها خطراته وتأملاته.. وإن كانت لا تغنى عن إيراد أصولها كاملة فى كتاب (يجدر أن تقوم على إصداره هيئة الكتاب)^(٢).

بدأ العميد السنهورى يومياته فى سن اليقاعة مسطرا «اليوم هو يوم ١١ أغسطس ١٩٢١، وهو اليوم الأول للسنة السابعة والعشرين من عمري، وقد ركبت فيه البحر قاصدا أوربا لأول مرة. ماذا ينتظرني من الحوادث فى هذه الرحلة الطويلة؟ لا أعلم ما يخبئه لى الغيب».. إلى أن كتب من ليون فى ٢٤ أكتوبر «رأيت فيما يرى النائم أن الغرب تشرق عليه شمس ساطعة، حدثت فيها طويلا ثم أدت وجهى نحو الشرق فخيّل لى أننى أنقل شمسا أوسع مدى وأسطع نورا إلى أرجاء الشرق الواسعة ولا أزال أرى الشمسين شمس الغرب الساطعة وشمس الشرق أبهى وأسطع وقد تضاءلت أمامها شمس الغرب!! اللهم حقق هذا الحلم».

(١) صدر كتاب للسنهورى بعنوان «السنهورى من خلال أوراقه الشخصية» عام ١٩٨٨ ولم يطلع عليه كاتب المقال.

(٢) قامت دار الزهراء العربى بنشر الكتاب المشار إليه فى طبعته الأولى وهذه هى الطبعة الثانية تقوم بنشرها دار الشروق.

وفى ٢٩ أكتوبر يعترف : «بأنى أحب !! . . وفى حبى شىء من حب الذات ، أعطى لمن أحبه قلبى . . أما إبائى وشممى . . فلا !!» .

وفى ٣ مارس ١٩٢٢ يحكى . . «شهدت سارة برنار . . وهى الآن تبلغ السبعين من العمر . . وكانت الرواية «دانييل» . . وقد بكيت فيها غير مرة !!» .

وفى ٥ مارس يقول . . «أدرك أن قوة غير منظورة تحيطنى أحس بها . . وأنى جزء من هذه القوة . وأعلم أن عملى لا ينتهى بانتهاء حياتى المادية ما دمت أنا الجزء سأرجع إلى الكل !!» .

أما فى ١٥ نوفمبر فيعلن : «أريد أن يعرف العالم أن الإسلام دين ومدنية . . وأن تلك المدنية أكثر تهذيباً من مدنية الجيل الحاضر ، ومن مصلحة العالم وقد فسدت قواعد الاجتماع التى يسير عليها أن يسعى إلى مدنية نمت وازدهرت فى عصور كان الجهل فيها مخيماً على ربوع العالم الغربى» .

ونراه فى ٢٧ أغسطس يقرر «أن الغرب لا يحسن تقليده إلا فى الأشياء المادية فهو تفوق فيها تفوقاً لا ينافى فيها ، أما الأشياء المعنوية فيحسن بالشرق أن يواصل تاريخه المجيد دون أن يقلد الغرب» .

ومن باريس يكتب فى ١٨ يناير ١٩٢٤ «الإسلام أقوى لا تهضمه الجنسية ولا الاستعمار . . ويحاول الغربيون أن يحولوا الإسلام إلى مجرد عقيدة لا شأن لها بالقومية حتى يسهل عليهم تفريق الأمم الإسلامية» .

ونتابع اليوميات تسعة عشر عاماً لنجده يحرر من «برماعة بلبنان» فى ١٩ يوليو ١٩٤٣ م : «كلفتنى الحكومة العراقية بوضع مشروع لقانون مدنى عراقى . . وأنا الآن فى طريقى إلى العراق لأعرض على القوم ما أنجزت . . وهذا هو العمل الذى كنت أطمح إليه منذ عهد الشباب» .

لقد خاض العميد بحور السياسة الهوج بعد نجاح حركة الجيش فى يوليو ١٩٥٢ . . ووضعت أحداثها فى موقع الصدارة . . فاستكتب واستوقع الملك المخلوع

وثيقة التنازل عن العرش . . إلا أنه تنزّه وترفع عن مهمة «تفصيل القوانين» تملقا وتعلقا بالسلطة . . فكانت الهجمة الهمجية عليه عام ١٩٥٤ فى أثناء رئاسته لمجلس الدولة والتي طوحت به بعيدا عن الحياة العامة . . نلمح هذا جليا فى يومياته التى كادت تقتصر على الإشارة إلى عيد ميلاده كل عام . . وبعض التعليقات الزاخرة بالتلميح . . الذى يغنى عن التصريح والتجريح !! كمثل ما سجله يوم ١٩ أغسطس ١٩٥٤ . . : «الحرية كالصحة من أكبر نعم الله . . وأن الإنسان لا يقدرها حق قدرها إلا بعد أن تزول !!» .

وإذ أطبقت هزيمة يونيو ١٩٦٧ على مصر . . خرج العميد عن طول صمته . . فخط بأسلوب لاذع لاسع . . : «هنيئا لحكومتنا المظفرة . . إنها دائما على الحق !! وهى دائما تكسب الرهان . . لا ينزل فى حلبة السباق إلا حصان واحد . . وهى تراهن على هذا الحصان !!» .

ويتعجب فى اليوم التالى . . : «نحن أمة فذة !! ثلاثون مليوناً من البشر ينظرون جميعاً بنفس العين . . ويسمعون جميعاً بنفس الأذن . . ويتكلمون جميعاً بنفس اللسان» .



هذا هو مقال المستشار الدكتور «على فاضل حسن» الذى نشر فى جريدة الأهرام المصرية بتاريخ ٢٨ / ٧ / ٢٠٠٣م، تحت عنوان «شهادة حق . . يوميات السهنورى»، ذكر فيه تحية الإكبار والإجلال للعلامة الدكتور «عبد الرزاق أحمد السهنورى» وأن «كل القانونيين نهلوا من وسيطه، وأبحروا فى محيطه، لكننا نقدم إليهم سبقا نزع أن أحدا لم يطرقه من قبل، قطف من يومياته التى حررها بخط يده منذ أكثر من ثمانين عاما، سجل فيها خطراته وتأملاته»، وطالب بإيراد أصولها كاملة فى كتاب تقوم بنشره إحدى المؤسسات الكبرى .

وعند اطلاعنا على المقال المنشور تم اتصالنا بالمستشار الدكتور «على فاضل حسن» واجتمعنا معه، وعرضنا عليه نسخة من الكتاب الذى نوه عنه بنشر تأملات الدكتور

السنهورى، والذي أصدره وعلق عليه الأستاذ الدكتور «توفيق محمد الشاوى» وزوجته المرحومة الدكتورة «نادية عبد الرزاق السنهورى» عام ١٩٨٨ م.

وعندئذ أفاد سعادة المستشار الدكتور «على فاضل حسن» بأنه ومجموعة كبيرة من زملائه القانونيين والقضاة لم يطلعوا على هذا الكتاب، وطالب بضرورة إعادة طبعه طبعة ثانية منقحة حتى يستطيع القراء والمتخصصون فى مصر وجميع البلاد العربية من الاطلاع على هذه الأطروحات المهمة.

وبعد نشر المقالة فى الصحف اتصل بنا كثير من المهتمين بالثقافة العامة والمختصين بالدراسات القانونية العربية، وطالبوا بنشر هذا الكتاب وتعميمه فى مصر والبلاد العربية حتى يستفيد من دروسه وتنبؤاته جميع القانونيين فى البلاد العربية والإسلامية.

ولذلك وجدنا من الضرورى بأن نعود لنشر هذا الكتاب بعد أن أضفنا إليه أوراقه الشخصية التى عثرنا عليها بعد نشر الطبعة الأولى وهى:

١ - فيما يخص الأوراق قبل ذهابه إلى البعثة وهو طالب فى مدرسة محرم بك الأميرية بالسنة الثانية الثانوية وذلك عام ١٩١٠ م، والتى اعتد بها واحتفظ بها فى أوراقه الشخصية، وهى كراسة محفوظات، ومختارات من الأدب العربى الذى ولع به منذ حداثة سنه.

٢ - ذكريات عن عمله بالنيابة العامة كمعاون للنيابة بمدينة المنصورة، ذكر فيها أهم المرافعات التى قام بها.

٣ - مسودة كتبها بخط يده احتفاء بتأسيس جامعة الدول العربية ذكر فيها أن هذه الجامعة هى خطوة فى سبيل تحقيق الجامعة الإسلامية الكبرى التى تنبأ بها فى كتابه عن الخلافة وتطورها لتصبح عصبية أم شرقية الصادر عام ١٩٢٦ م، أى منذ ثمانين عاما تقريبا.

٤ - ما نقله بخطه بالفرنسية لقصيدة رائعة من الشعر المنثور كتبها الشاعر الفرنسى الكبير «لا مارتين» يمدح فيها الرسول ﷺ وختمها بقوله عن الرسول «إنه كان فيلسوفا . . خطيبا . . نبيا . . مشرعا . . مجاهدا . . ناجحا . . مؤمنا . . مقيما للعقيدة

الصحيحة . . وأقام دعوته منزهة عن الصور والأوثان . . ناشر العشرين إمبراطورية
على الأرض في ظل إمبراطوريته الروحية الموحدة» .

إن عظمة محمد ﷺ على كل المستويات لم يبلغها إنسان آخر، وسوف ننشر
النص الفرنسي للقصيدة مكتوبا بخط الدكتور «السنهوري»، ونضيف إليها الترجمة
العربية لهذه القصيدة الرائعة . .

* * *

مقدمة الطبعة الأولى

بقلم دكتور توفيق الشاوى

يسرنى ويشرفنى ، بعد حمد الله والثناء على رسوله الكريم ، أن أقدم للقراء هذه المجموعة من المذكرات الشخصية التى كتبها أستاذنا الكبير المرحوم عبد الرزاق السنهورى بخط يده ، مع تعليقات وحواشى تربطها بالأحداث التى عاصرها والتى تغطى فترة طويلة من حياته ، بدأت فى شهر أغسطس عام ١٩١٦ عندما كان يدرس الحقوق بمصر وانتهت فى أغسطس عام ١٩٦٩ ، عندما توقفت يده عن الكتابة بسبب مرضه الذى أدى إلى وفاته .

كما أنه كتبها فى مدن وأماكن مختلفة أقام بها خلال تلك الفترة (بعضها بفرنسا وأوروبا فى فترة البعثة الدراسية : ليون ، مارسيليا ، باريس ، لندن ، بروكسل ، لاهاي . . . وبعضها فى مصر : القاهرة ، أسيوط ، الإسكندرية ، برج العرب . وبعضها فى البلاد العربية : دمشق ، بغداد ، بيروت . . .) .

ورغم هذا الاختلاف فى الزمان والمكان ، فإننا يمكن أن نلمس فيها وحدة موضوعية ، فالأفكار التى اشتملت عليها متناسقة مترابطة ، والموضوعات التى شملتها تكاد تكون واحدة ، وذلك برغم أنها لم تسجل بصورة منتظمة أو دورية بل إنه كان يخلو إليها كلما وجد الفرصة سانحة ليرجع إلى نفسه وربّه سبحانه وتعالى ، وليحدث نفسه بأفكاره وخوابره وعما يتمنى أن يقوم به لتحقيق آماله وطموحاته دون أن ينسى ذكر الله والدعاء له لكى يمده بعونه حتى يقوم بواجبه ويؤدى رسالته فى الحياة لصالح وطنه مصر وأمتة الإسلامية . وقد لاحظنا أنه سجل دعاءه لله بانتظام ملحوظ فى ذكرى ميلاده كل عام الموافق ١٢ من أغسطس يشكر الله على ما حققه فى العام المنتهى ويسجل فى صورة دعاء ما يتمناه للعام التالى

مذكرات شخصية

كثيرون يكتبون مذكراتهم لينشروها على الناس ، وغرضهم من ذلك عادة هو إعلان وجهة نظرهم للناس في الأحداث التي عاصروها - وإبراز دورهم فيها - ولذلك فإن كثيرين يأخذون هذا النوع من المذكرات بشيء من الحذر لأنها قد تصور الأحداث بصورة غير صحيحة أو تعرضها بصورة متحيزة غير كاملة بقصد إسباغ نوع من البطولة على كاتبها أو إخفاء أخطائه أو إلقاء مسئولياتها على غيره أو الدفاع عن نفسه ، ويستهوون القراء بالإيحاء بأنهم سيكشفون لهم أسراراً وخبائيا لم تنشر ، وبذلك يحصلون من نشرها على كسب مالى للكاتب وللناشر . .

ومذكرات السهوى ليست من هذا النوع ، لأنه لم يكتبها للنشر وإنما كتبها لنفسه ليسجل فيها ما ينبض به قلبه وما يجول بخاطره من خواطر وآراء ومخططات ؛ ليرجع إليها هو حتى يستضيء بها في حياته ويسير على هديها ويلتزم بها . إنها حديث مع نفسه هو لا مع الناس ، لذلك فهي تمتاز بأنها أقرب للصدق ، لأن المرء لا يكذب على نفسه عادة . ثم إنها تعبر بكل دقة عما كان يجول في ضميره وما يحدث به نفسه مما لا تتاح له الفرصة ليحدث الناس به ، لذلك وصفها السهوى نفسه بأنها «مذكراتي الشخصية» ، ويفهم من ذلك أنه لم يقصد نشرها ولا أن يطلع عليها غيره . .

لذلك ترددنا في نشر هذه المذكرات ، ولكننا رجحنا نشرها لا لنقدم صورة تاريخية عما شهدته من الأحداث ، بل لكي ندرس من خلالها شخصية هذا الرجل الفذ العملاق ، ولنستكشف منها جوانب من تفكيره وخلقه وخواطره لم يتح لغيره أن يطلع عليها أو أن يعرفها . فغرضنا من دراستها ونشرها هو عرض علمي ؛ لأنها تلقى الضوء على الجوانب الخفية في شخصية رجل عصامي عبقرى من رجال الفكر والتاريخ ، وتقدمه للأجيال القادمة في صورة أقرب إلى الحقيقة مما تقدمه كتب التاريخ الذى يتأثر كثيراً بأغراض المؤرخين وأهوائهم . .

لقد كتب على غلاف الكراسة التى سجل فيها هذه الخواطر أنها «مذكراتي الشخصية» يقصد بذلك أنه كتبها لنفسه لا للناس ، وهذا الطابع الشخصى يعطيها قيمة أكبر فى التعريف بشخصيته ورسم أبعاد تفكيره وطموحه . هذا الطابع الشخصى هو الذى حدد نوعية الآراء والأفكار التى سجلها ، فهو لا يستعرض ما يراه من وقائع

وأحداث ، ولا ما يعاصره من تطورات بقصد تسجيلها أو التعليق عليها أو إبراز دوره فيها - وإنما يكتفى بما يشغل قلبه وفكره من آمال وتأملات وآراء - وهذه الخواطر والآراء ليست أشتاتاً متفرقة ، بل إنها منذ بداية المذكرات إلى نهايتها تدور حول نقاط ثابتة واضحة واضحة هي تعلقه بانتمائه الإسلامى وتعظيمه للعمل الوطنى ورغبته فى العمل الجدى للنهوض بالفرد والمجتمع فى مصر وتوحيد العالم الإسلامى والعربى .

لذلك صنفنا هذه الخواطر فى الفهرس إلى ثلاث مجموعات تدور حول ثلاثة محاور هي :

(أ) الفكر الإسلامى .

(ب) العمل الوطنى .

(ج) تأملات فلسفية وأدبية وخواطر :

- فى اللغة والشعر والأدب .

- فى الأخلاق والفلسفة .

- فى المجتمع والتربية .

وفيما يلى أهم الموضوعات التى تركزت عليها آراؤه وخواطره .

١- الإيمان والإسلام

إنه تحدث فى مذكراته كثيراً عن إيمانه بالله وتوجهه بالدعاء له فى كل مناسبة . وشكره لنعمه واحترامه لمقام رسوله الكريم ، واعتزازه بالإسلام عقيدة وشريعة ومدنية وحضارة وتاريخاً يرى أننا يجب أن نعتر به وأن نبني مستقبلنا على أساس ماضينا الذى يكسب أمتنا أصالتها وشخصيتها المستقلة التى هى أساس نهضتنا وتقدمنا وتحررنا من التبعية للحضارة الغربية .

٢- الوحدة الإسلامية

كما أنه كثيراً ما أشار فى مذكراته إلى تفكيره الدائم فى العمل لنهضة الأمة الإسلامية

واتحاد دولها (وهو موضوع رسالته عن نظام الخلافة وتطورها)، وذكر مرات كثيرة أن الإسلام ليس ديناً أو عقيدة فقط بل هو شريعة وقانون وحضارة أثبتت تفوقها وأثمرت ثقافة وعلومًا نفخر بها (أهمها فقه الشريعة وعلوم اللغة وآدابها وشعرها). وكان يرى أن مصر لا بد أن تكون لها الدور القيادي في إعادة بناء هذه الوحدة .

٣- الخلافة والتحدى الأوربي

في الجزء الأول من هذه المذكرات نرى صورة الطالب المصري المسلم المغترب الذي عايش محنة الأمة الإسلامية بسبب انهيار الخلافة، يفكر وحيداً لأنه يعيش في بيئة أجنبية وسط شعب أوربي معاد للخلافة (فرح بانتصاره عليها واستيلائه على بعض أقطارها) - بينما هو كشاب مصري مسلم يفكر ويكتب لنا مؤلفاً ضخماً، يوضح فيه الأسس العلمية ويرسم الخطط العملية والخطوات التدريجية لإعادة وحدة أمتنا ومجدها - في رسالته عن الخلافة وتطورها لكي تصبح منظمة دولية تضم الدول الإسلامية وفي مقدمتها وطنه مصر ذات التاريخ المجيد .

صحيح أنه لم يشر في هذه المذكرات إلى كتاب «الخلافة» ولكننا بعد أن عشنا مع هذا الكتاب، نعمل في دراسته فترة طويلة كنا من حين لآخر نلمح من خلال هذا الجزء الأول من هذه الأوراق الشخصية الأفكار التي كانت تصاحبه وتراوده وتناجيه؛ عندما كان يعد هذا العمل العلمي العبقري الذي يعتز به كل من يفكر في دراسة الفقه والفكر والتاريخ الإسلامى . .

هذه الخواطر الإسلامية الأصيلة كانت في أول الأمر متقاربة ومتراصة في شبابه، أى في فترة دراسته في فرنسا لأنها كانت في نظره نوعاً من التحدى للبيئة الأوربية التي عاش فيها أثناء دراسته في أوروبا، في فترة كان الأوربيون في نظره يتعالون على الشرقيين نتيجة انتصارهم على الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وسيطرتهم على الأقطار العربية الإسلامية التي احتلوها نتيجة هذا الانتصار، هذا التحدى هو الذي دفعه لتخصيص أكثر وقته وجهده لكتابة رسالته عن «الخلافة» مقترحا تحويلها إلى منظمة دولية شرقية أو إسلامية تتلاءم مع الظروف العالمية في العصر الحاضر .

٤. الوطنية

والموضوع الذى يلى الإسلام فى اهتماماته فى هذه المذكرات هو عواطفه الوطنية التى تظهر حبه لمصر وحنينه إليها وحرصه على المشاركة فى جهادها من أجل الاستقلال والتقدم ولكى تكون رائدة للشعوب الشرقية ، وقائدة لحركة تهدف إلى إنشاء الجامعة الإسلامية أو عصبة الأمم الشرقية (التي دعا إليها فى خاتمة كتابه عن الخلافة).

٥. المجتمع الأوربي

ومع ذلك فإنه لم يتجاهل ضرورة الاستفادة مما حققه الغرب فى مجال التقدم العلمى والمادى والتطور الاجتماعى والثقافى والسياسى الذى يسجل ملامحه فى تأملاته وأفكاره فى مناسبات متعددة عندما كان يتحدث عن المجتمع الفرنسى والأوربي فى فترة دراسته فى الخارج ويتمنى أن تستفيد بلاده من منجزاته العلمية والحضارية مع الاحتفاظ بشخصيتها الحضارية المتميزة الأصيلة المستمدة من حضارة الإسلام وتاريخه ..

٦. تأملات وأفكار

وفيما عدا الإسلام والوطنية فإن فى مذكراته تأملات وآراء وخواطر تدور حول تكوين شخصية الفرد وتفكيره وأخلاقه ، ونظم المجتمع ..

إن تحليل هذه التأملات والأفكار يكشف عن أن موضوعاتها مترابطة ومتناسقة وتعبر عن اتجاهات تنبع من حماسه للإسلام وحبه لمصر وتأثره بقيادة النهضة الإسلامية والوطنية وكتب الفقه والتراث الإسلامى وبخاصة كتب الأدب واللغة العربية ، لدرجة أنه خصص إحدى كراسات المذكرات لجمع ما أعجبه من نماذج الشعر والنثر العربى ، فضلاً عن بعض أبيات من شعره فى تواريخ مختلفة وضعها تحت عنوان «أبيات من الشعر نظمتها» ، ووضع تاريخ كل منها . وقد لاحظنا أنه استشهاد بها فى مواضع مختلفة من مذكراته إلى جانب استشهاده بشعر شوقى والمتنبى .

تقسيم

ونظراً لأن ظروف حياته مغترباً في فرنسا في فترة دراسته للدكتوراه مكنته من تخصيص وقت أكبر لهذه المذكرات، فإن ما كتبه في هذه الفترة يستحق أن يخصص له جزء مستقل من المذكرات هو الجزء الأول، وسوف نخصص الجزء الثاني للفترة التي تلت عودته لمصر عام ١٩٢٦ إلى عام ١٩٦٩ م قبيل وفاته رحمه الله . .

أما نشاطه وحياته في مصر قبل سفره في البعثة إلى فرنسا، ومذكراته في تلك الفترة فقد أفردنا لها باباً مستقلاً بعد المقدمة .

إذا كان عدد المذكرات في الجزء الأول (٢٢٤) وعددها في الجزء الثاني مقارباً له (٢٣١ مذكرة) فإنه يجب ألا ننسى أن الفترة التي يغطيها الجزء الأول لم تبلغ خمس سنوات (أربع سنوات وتسعة أشهر أي - ٥٧ - شهراً تقريباً) بمتوسط ما يقرب من أربع مذكرات شهرياً أو مذكرة كل أسبوع، في حين أن الفترة التي يغطيها الجزء الثاني من هذه المذكرات من حياة الكاتب تمتد إلى (٤٢) عاماً وتسعة أشهر (أي ٥١٣ شهراً) بواقع مذكرة واحدة كل شهرين أو أكثر أو كل تسعة أسابيع على وجه الدقة . .

طريقة الكتابة

إلى جانب الكراسات الثلاث التي خصصها لمذكراته، وجدنا عدداً من الأوراق والكراسات المنفصلة عنها سجل فيها بعض فقرات من هذه المذكرات ثم نقل بعضها بعد ذلك في تلك الكراسات مما يدل على أنه تعود رحمه الله على أن يسجل بعض أفكاره في أوراق منفصلة كلما خلا إلى نفسه في أي مكان، ثم يعيد كتابتها بخطه في الموضع المناسب لها في كراسة المذكرات بعد ذلك في منزله، حتى إنه أشار لذلك فيما سجله في برج العرب بتاريخ (٢٢ / ٨ / ١٩٤٨ م)، إذ ذكر أنه «صورة طبق الأصل» . . . ومع ذلك فإن بعضها لم يدمج في الكراسات التي عثرنا عليها كما سنوضحه في حينه .

عناوين وفهارس

ولتسهيل مهمة القارئ في متابعة هذه المذكرات والأوراق الشخصية وضعنا لكل

منها عنواناً يدل على الفكرة الرئيسية فيها، ثم أضفنا إلى بعضها هوامش وتعليقات تربط بينها وبين الأحداث التي عاصرها أو مر بها في حياته - أو ما كتبه في مؤلفاته، أو ما كتب عنه بعد وفاته، وقد استلزم ذلك إعداد فهرس مرقم لهذه المذكرات يساعدنا ويساعد القارئ على تبويبها وتصنيفها والربط فيما بينها - وأضفناه في نهاية المذكرات.

أبواب ثلاثة

لقد أعاننا هذا الترتيب وهذه العناوين على تصنيف الخواطر التي يشتمل عليها الجزء الأول والثاني إلى ثلاثة أبواب أشرنا إليها بحروف من (أ إلى ج)، وذلك لتمكين القارئ من الرجوع إلى ما يهمه منها مستعيناً بهذا الفهرس. وهذا هو بيان الأبواب التي أشرنا إليها، والقدر الذي خصصه لكل منها في «الجزء الأول» من مذكراته..

(أ) ما يتعلق بالإيمان والإسلام والوحدة الإسلامية (مائة مذكرة).

(ب) عاطفته الوطنية وخططه للمساهمة في نهضة مصر والعالم الإسلامى (سبع وثلاثون مذكرة).

(ج) تأملات وأفكار متفرقة، وقد حاولنا تجميعها في ثلاثة موضوعات على النحو التالي:

ج/ ١ اللغة والأدب والشعر (أربع وثلاثون مذكرة).

ج/ ٢ الأخلاق والفلسفة (أربع وثلاثون مذكرة).

ج/ ٣ المجتمع والتربية (تسعة وأربعون مذكرة - منها ثلاثون مذكرة خاصة بالمجتمع الأوربي الذي كان يعيش فيه في فترة كتابته هذا الجزء).

عبقريّة التخطيط

إن هذا التحليل سوف يعطى القارئ فكرة عن شخصية الرجل واتجاهاته التي بدأت تظهر في سنوات شبابه، كما أن عبقريته تتجلى في أن كل ما كتبه وهو شاب يدرس الحقوق بعيداً عن وطنه إنما كان تخطيطاً لكفاح الجيل الذي يمثل هذا الرجل العظيم، وقد تحقق فعلاً - بل إن فيه تخطيطاً لما يجب أن تعمل لأجله أجيال أخرى قادمة.

ولذلك فإن قراءة هذه المذكرات ليست مفيدة فقط لمن عرفوا السنهورى أو أبناء جيله بل إنها أيضاً أكثر فائدة وأهمية للأجيال القادمة التى لم تعرفه إلا من خلال كتبه ومؤلفاته . ولهذا السبب بذلنا أقصى ما نملك من جهد لإخراج هذه المذكرات ونشرها ، لا تخليداً لذكرى كاتبها فقط ، وإنما أيضاً لنقدمها للأجيال القادمة من أبنائنا آملين فى أن يحققوا ما عجز أسلافهم عن تحقيقه من الخطط التى رسمها ذلك العبقري والأهداف العليا التى عمل لها ذلك العصامى الفذ والمبادئ السامية التى آمن بها .

فى الجزء الأول من هذه المذكرات ترى «السنهورى» شاباً مثالياً يعجبنا فيه تعلقه بالمثل العليا ، وفى مقدمتها : اعتزازه بالقيم والمبادئ الإسلامية ، وحب لوطنه وتفكيره فى نهضته ، ثم الخواطر والآراء التى كانت تشير إلى اتجاهاته المثالية فى مستقبل حياته العملية .

إننا نعتقد أن من يريد فعلاً أن يدرك المرمى البعيد والمعنى العميق لما كتبه «السنهورى» فى الجزء الأول من فترة شبابه سيزداد فهمه له وتقديره لشخصيته كمصري ومسلم إذا اطلع على كتاب «الخلافة» الذى تُعدّ تلك المذكرات فى الجزء الأول منها بحق هوامش له ، ويُعدّ هذا الكتاب فى نظرنا هو الأصل وأن المذكرات ما هى إلا تكملة عبر فيها عما لم يكن يستطيع أن يسجله فى كتاب يقدمه كرسالة يناقشها أساتذة فرنسيون فى جامعة أجنبية ينتمون إلى شعب له دور كبير فى المحنة التى تواجه الأمة الإسلامية فى المرحلة الاستعمارية الناتجة عن انهيار الخلافة .

إننا نرى فى الجزء الأول من مذكرات «السنهورى» ملامح طموح ذلك الشاب المسلم المصرى وخطته للمساهمة فى كفاح أمته ، ووطنه . .

* * *

فى الجزء الثانى من هذه المذكرات ، نلتقى «بالسنهورى» رجلاً مسئولاً ، نصاحبه خلال حياته العملية : أستاذاً وقاضياً وسياسياً وعالماً ومؤلفاً ومواطناً قام بدوره فى جهاد أمته من أجل الأهداف السامية التى أعلن ولاءه لها وتعلقه بها فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

إذا كنا قد أحببنا «السنهورى» طالباً شاباً لأننا نشاركه مبادئه السامية التى عبر

عنها فى الجزء الأول من مذكراته ، فإن من حقنا الآن أن نقرأ خواطره فى الجزء الثانى قراءة ناقد فاحص نحاسبه على ما قام به فى حياته العملية وفاء لهذه المبادئ ذاتها والتزاما بالعمل من أجلها .

وسوف نبدأ بالمقارنة بين صورته ومقومات شخصيته التى نراها فى الجزء الثانى بالقياس إلى الصورة التى قدمتها لنا خواطره فى الجزء الأول :

إن الإيمان بالله والاعتزاز بالإسلام والعمل لدراسة الشريعة الإسلامية ونهضتها كانت أول المبادئ التى أكدها فى مذكراته فى الجزء الأول .

ويمكن أن نلاحظ أنه لم يقصر فى الإشارة إليها فى الجزء الثانى ، وقد خصص لها ستة وثمانين مذكرة فى هذا الجزء (١٤ مذكرة أقل من الجزء الأول) .

أما الموضوع الثانى الذى أكد عليه فى الجزء الأول (المتعلق بوطنيته ومساهمته فى نهضة بلاده) فقد سجله فى الجزء الثانى فى ثلاث وخمسين مذكرة من مذكراته (بزيادة ١٦ مذكرة عن الجزء الأول) ، وهى زيادة يسوِّغها عودته إلى ميدان العمل فى بلاده بعد أن كان يعيش بعيداً عنها .

ولا شك فى أن عودته إلى مصر تسوِّغ أن يصبح تفكيره فى العمل لوطنه أكثر إلحاحاً من الإشارة إلى القيم والمبادئ المثالية الإسلامية العليا . وسوف نرى من خلال ذلك قدراً من التراجع فى المجال الإسلامى ، إذ إنه فى الفترة الأولى كان يفكر فى « الأمة الإسلامية » كوحدة ، ويرى وطنه جزءاً من هذه الوحدة متفرعاً عنها ، فى حين أنه فى المرحلة الثانية أصبح يرى العمل الوطنى لنهضة بلاده هدفه الأول ، وأن القيم والمبادئ الإسلامية بقيت فى ذهنه عنصراً أساسياً وجزءاً من خطته لهذه النهضة المصرية الشاملة ولكنها ليست موضوعاً مستقلاً بذاته ولا مهيمنة على العمل الوطنى المحلى .

وبذلك يمكن القول إن الوطنية المصرية (والوحدة العربية أيضاً) احتلت فى ذهنه المقام الأول بدلاً من القيم والمثل العليا الإسلامية الشاملة .

ومع ذلك فإن الموضوعين - الإسلام والوطنية - بقيا مرتبطين فى تفكيره فى الجزء الثانى كما كانا فى الجزء الأول ، مع فارق أساسى هو صعود القومية المحلية والقومية

العربية إلى المقام الأول بدلاً من الوحدة الإسلامية التي كان لها الأولوية في تفكيره في فترة حياته طالبا في فرنسا واشتغاله بتأليف كتاب «الخلافة».

ويؤكد هذا الارتباط أن مجموع المذكرات لهذين الموضوعين معاً في المرحلتين كان متقارباً (١٣٨ مذكرة في الجزء الأول مقابل ١٣٩ مذكرة في الجزء الثاني).

* * *

أما فيما يخص الشعبة الأولى (في الموضوع الثالث آراء وتأملات) - المتضمنة خواتمه في اللغة والأدب والشعر - فهي متقاربة في الجزأين (٣٤ في الجزء الأول مقابل ٣٥ في الجزء الثاني).

وبالنسبة للشعبة الثانية (من الموضوع الثالث آراء وتأملات) المتضمنة لخواتمه في الفلسفة والأخلاق، فقد تضاعفت في الجزء الثاني بالنسبة للجزء الأول، (٩٨ في الجزء الثاني مقابل ٣٤ في الجزء الأول). ومن الطبيعي أن التأملات الفلسفية لرجل ناضج وشيخ حنكته التجارب تكون أعمق وأوسع مما يديه المرء وهو طالب شاب.

أما الشعبة الثالثة (في الموضوع الثالث آراء وتأملات) المتعلقة بالمجتمع، فقد هبطت في الجزء الثاني إلى النصف تقريباً عما كانت عليه في الجزء الأول، وذلك لأن تضخم آرائه في الجزء الأول كانت نتيجة ملاحظاته الكثيرة على المجتمع الأوربي، الذي كان يعيش في وسطه (والتي يبلغ عددها في الحقيقة ثلاثين مذكرة) ولا مقابل لها في الجزء الثاني لأنه كان يعيش بين أهله وفي مجتمع وطنه وبلده.

بعد هذا العرض الموضوعي لما تضمنته الأوراق الشخصية لأستاذنا الكبير، يحتاج القارئ إلى صورة حية لشخصيته في إطار حياته الشخصية والعائلية والعملية، وستقدم ذلك ابنته الدكتورة نادية مع لمسة عاطفية تربط ذكريات طفولتها مع والدها بمذكراته التي تقدمها وتعلق عليها - وتمهد لذلك كله بالحديث عن نشأته وطفولته ودراسته، وعمله في مصر قبل سفره إلى البعثة الدراسية في فرنسا وبعد عودته منها.

* * *

ذكريات أبى ومذكراته الشخصية

للدكتورة نادية عبد الرزاق السنهورى

لقد كنت الطفلة الوحيدة لوالدى المرحوم الدكتور عبد الرزاق السنهورى ، وكنت أعتقد أننى أعرف عنه أكثر مما يعرفه غيرى . ومع ذلك فإن اطلاعى على أوراقه الشخصية قد كشف لى جوانب مهمة فى شخصيته ، لم أكن أعرفها جيداً ، برغم أننى كنت أقرب الناس إليه ، وأعتقد أن كثيرين ممن عرفوه عن قرب من تلاميذه ومريديه ومن لم يروه وإنما عرفوه من خلال كتبه وأبحاثه - سيجدون فى الاطلاع على هذه الأوراق متعة وفائدة كبرى ، توضح لهم كثيراً من آرائه وكتاباته .

ذكريات

لقد كان من بين أعز ذكريات طفولتى وقوفى قريبة منه ، أحوم حوله وأشاغله وهو غارق فى قراءته وكتاباته . وأول ما عرفته عن هذه الأوراق التى كان يكتبها أنها كانت تشغله أغلب وقته عن ملاطفتى ومحادثتى التى كنت حريصة عليها . ولم يكن لى إخوة أو أخوات أغار منهم ، فاتجهت غيرتى إلى أوراق أبى رحمه الله . . . ولم أكن أعرف أن من بين ما ينشغل أبى بكتابته «مذكراته الشخصية» إلا فى وقت متأخر . . . عندما حدثتنى والدتى عن أننى فى يوم من الأيام عثرت على كراسة من هذه المذكرات فمزقتها وألقيت بها من النافذة فى نوبة غضب لا أذكر شيئاً عن سببها . .

وربما يكون من مظاهر هذه الغيرة وآثارها أننى عندما أتممت دراستى الثانوية لم أشارك أبى حرصه على أن أسير على نهجه فى دراسة الحقوق . . . كما يفعل كثير من الآباء الذين يرون فى أبنائهم عند الاقتضاء امتداداً لحياتهم وصورة جديدة لشخصياتهم وورثة لاهتماماتهم ، وحملة لرسالتهم . . . وكان أن اخترت دراسة بعيدة عن مجال القانون - وهى دراسة الأدب الإنجليزى

وبرغم عدم ارتياح والدى لهذا الاختيار فإنه لم يبد أى معارضة لى فى أن أختار طريقى بنفسى . . . بل إنه تظاهر فى يوم من الأيام بأنه راض عن ذلك الاختيار، ولكى يؤكد لى ذلك قال لى يوماً إنه يعتقد أننى أبدأ من حيث بدأ، لأنه عندما فكر فى إعداد رسالته للدكتوراه وهو شاب يدرس الحقوق فى فرنسا، اختار موضوع رسالته عن «القضاء الإنجليزى» - وكان سعيداً بذلك لأن أساتذته أثنوا على هذا الاختيار وشجعوه عليه لأن طلبتهم الفرنسيين والأجانب لم تكن لدى كثير منهم القدرة على تقديم رسائل فى موضوعات متعلقة بالقانون أو القضاء الأنجلوسكسونى، الذى يُعدّ فى نظرهم نظاماً قانونياً له جاذبية خاصة؛ لأنه مختلف أشد الاختلاف عن النظم القانونية اللاتينية التى يُعدّ القانون الفرنسى أهم نموذج لها.

وأذكر أيضاً أنه أكد لى أنه كان سعيداً لأن رسالته عن القضاء الإنجليزى كانت أول عمل أثبت به تفوقه وحصل به على إعجاب كثيرين من أساتذته وزملائه من الطلبة الفرنسيين وغيرهم . . . وأنه حصل بتلك الرسالة على شهادة الدكتوراه، وحصل أيضاً على جائزة أحسن رسائل الدكتوراه فى جامعة ليون - وهى جائزة تفتح لمن يحصل عليها باب الصعود فى سلم الأساتذة فى الجامعات الفرنسية . . . ولكنه لم يفكر فى ذلك، وإنما أعلن أنه سيقدم رسالة جديدة ليحصل بها على شهادة دكتوراه ثانية فى العلوم السياسية، وأن عنوان تلك الرسالة هو «نظام الخلافة فى الفقه الإسلامى»، وقد أدهشهم ذلك لأن موضوع الخلافة فى ذلك الوقت كان من أكبر الموضوعات محللاً للجدل فى الأوساط السياسية والدولية فى الشرق والغرب.

نزوة الشباب

وبرغم سرورى بسماع ذلك عن ذكريات شباب أبى، فإنه لم ينجح فى أن يستهوينى لما كان يلمح إليه من الاتجاه إلى دراسة الحقوق . . . فواصلت دراستى فى كلية الآداب وفى الأدب الإنجليزى لا القانون الإنجليزى ولا القانون المصرى، ولا القانون فى أى صورة أو أى فرع من فروعهِ. ومنذ ذلك التاريخ عدت مكتبة والدى وأوراقه أمراً خاصاً به، لا أفكر فى مشاركته فيه ولا أطمع فى أن أتمم مؤلفاته ودراساته التى كنت ومازلت أسمع الثناء عليها والإعجاب بها كلما ذكر اسم والدى فى أى مكان فى

به، بقدر لا يعرفه كثيرون ممن أعجبوا بجهوده في وضع التشريعات العصرية في مصر وغيرها من البلاد العربية كالعراق والكويت وسوريا وليبيا.

أوراق شخصية

وقد تأكدت لدى هذه الفكرة عندما عثرت بمحض الصدفة على إحدى الكراسات التي سجل فيها أبي حديثه مع نفسه ومذكراته الشخصية، في الفترة التي قضاها في دراسته في فرنسا للحصول على الدكتوراه، وقرأت هذه الخواطر التي سجلها أبي في شبابه، والتي تعطي صورة كاملة لما كان يشغل فكره من آمال وطموحات وذكريات، بعضها له طابع شخصي بحت، أو نشاط ثقافي واجتماعي في فرنسا، والبعض الآخر يصور مشاعره الوطنية وحنينه إلى بلده وأمله في أن يساهم في بناء مستقبلها. لكن الذي أعجبني وأدهشني بين كل ذلك هو أن اهتمامه بمستقبل الفقه الإسلامي والشريعة الإسلامية قد شغل الحيز الأكبر من هذه المذكرات الشخصية، وهو ما لمسته قبل ذلك خلال اطلاعي على كتابه في الخلافة أثناء عملي في ترجمته. واستخلصت من ذلك أن النهوض بالفقه الإسلامي كان هدفاً أساسياً في نظره، وأنه بدأ في إعداد تلك الرسالة فور وصوله إلى فرنسا، وأن كثيراً من خواطره الشخصية كان صدى للآراء التي اطلع عليها أو توصل إليها في أثناء دراسته لموضوع «الخلافة في الفقه الإسلامي» الذي لم ينقطع عن التفكير فيه ودراسته طوال سنوات دراسته في فرنسا.

ولقد عثرت بعد ذلك على كراسة ثانية تضم خواطره ومذكراته الشخصية التي سجلها بعد عودته من فرنسا خلال سنوات حياته العملية، وراعى فيها أن كل ما أشار له من أعماله ومواقفه كان صدى لما فكر فيه وتمناه وخطط له وهو شاب يدرس أو يستعد للدراسة.

هواية التخطيط

لذلك أيقنت أن أهم مميزات شخصية والدي كانت هوايته للتخطيط للمستقبل وقدرته الفائقة على الالتزام بالخطط التي رسمها والعمل للأهداف التي فكر فيها وصمم على العمل لها.

وقد لاحظ ذلك بحق الأستاذ محمد زكى عبد البر فى مقاله المنشور بمجلة القضاء العراقية (العدد الثامن سبتمبر ١٩٧٣م) حيث قال عنه :

«إنه كان يؤمن بالتخطيط : يحدد الغاية ويبين سبيلها ويرسم مراحلها ويقدر لكل مرحلة زمناً . وكان قوى الإرادة يلتزم بهذا التخطيط لا يخلفه ، حتى إن المرض لم يستطع أن يزحزحه عن المضى فى سبيله ، وبهذا استطاع أن ينجز ما يعجز عنه عشرات من المجددين . وكان من أروع تخطيطه أنه خطط لإخراج الوسيط بالمدة التى قدرها وبقيت من حياته ، فما كاد ينتهى من إخراج الجزء العاشر منه ويعلن لخاصته أنه أنهى واجبه - حتى غادر الدنيا إلى رحاب الله جل وعلا مرتاح النفس ؛ لأنه أدى رسالته» . .

وسيزداد القارئ اقتناعاً بذلك كلما قارن ما كتبه فى الجزء الأول بما سجلناه من تعليقات . وتأكيذاً لذلك نرفق صورة غلاف الجزء العاشر والأخير التى أعدها رحمه الله بخط يده - وعثرنا عليها فى ورقة منفصلة . . . ويظهر من تاريخها ١٩٧٠ أنها آخر ما خطه رحمه الله بخط يده قبل أن يعجزه المرض - لأن آخر مذكرة فى كراسات كانت بتاريخ ١١ أغسطس ١٩٦٩ - وكتبها بمناسبة بلوغه الخامسة والسبعين . . . وتوفى بعدها فى ١٩٧١/٦/٢٧ .

ترجمة حياته

لذلك تزداد قيمة الأوراق الشخصية التى نقدمها إذا درسناها فى ضوء ترجمة حياته وظروفها وأحداثها عندما كتب كلا منها ، وبعد كتابتها ، لذلك اجتهدنا فى الإشارة إلى كل ما يرتبط بكل مذكرة من مواقفه وظروف حياته .

إن من يطلع على خواطر «السنهورى» فى فترة دراسته فى مصر وفى فرنسا وهو لا يزال فى العشرينيات من عمره سيرى أن عبقريته النافذة برزت فيما سجله فى تلك المذكرات من خطط للمستقبل من أجل نهضة مصر ، والدور المفصل المحدد الذى رسمه لنفسه فى تنفيذ هذا المخطط مبيناً ما ينوى أن يقوم به فى سبيل نهضة بلاده وتقدمها فى جميع المجالات الثقافية والعلمية والتعليمية والقانونية والقضائية والسياسية والاقتصادية .

كثيرون يعرفون ما قام به «السنهوري» في حياته العملية بعد عودته إلى مصر، ويعرفون أنه تقلب في وظائف التدريس في الجامعة والقضاء بالمحاكم المختلطة، وقام بجهود جبارة في سبيل تعديل القوانين وتقنينها وإنشاء معهد الدراسات العربية العالية، ليكون إطاراً للدراسات المقارنة بين الشريعة والقوانين العصرية من أجل النهوض بفقه الشريعة وجعلها مصدر التشريعات الوضعية، فضلاً عما قام به في وزارة العدل وما قام به في وزارة المعارف عندما تولى أمرها عدة مرات وكيلاً دائماً ثم وزيراً لها، ومساهمة في نهضة اللغة العربية عضواً في مجمع اللغة العربية.

وميزة هذه المذكرات أنها تقدم للقارئ الفقرات التي كتبها في مذكراته وهو طالب مغترب في فرنسا والتي تدل على أنه رسم لنفسه بكل دقة ووضوح خطة العمل في جميع هذه المجالات قبل أن يبدأ حياته العملية. واستعراضنا للمذكرات المتعلقة بالخطط التي وضعها لهذه الموضوعات واحداً بعد الآخر تؤكد لنا أنه في خلال حياته العملية التي امتدت أربعين عاماً بعد عودته من البعثة قد نفذ بكل دقة جميع ما خطط لنفسه للعمل في تلك الميادين المتنوعة وهو لا يزال طالباً يدرس مغترباً عن بلده في العشرينيات من عمره.

لقد تكفل الدكتور توفيق الشاوي بكثير من التعليقات والملاحظات التي تؤيد ذلك، فضلاً عن وضع العناوين وتبويب المذكرات ابتداءً من يوم وصوله إلى فرنسا. أما ما قبل ذلك مما يتعلق بنشأته وأسرته وطفولته وحياته قبل السفر إلى فرنسا، فإنني سأبذل جهدي لعرضه على القارئ في هذه المقدمة.

طفولته وأبناؤه

لقد كنت مترددة في نشر هذه الأوراق ولم أقنع بالإقدام على ذلك بصفة نهائية إلا بعد أن عثرت على ورقة بعنوان «طفولتي» وجدتها منفصلة عن المذكرات، وظهر منها أنه كتبها وهو رئيس لمجلس الدولة. ويدل عنوانها على أنه كان يعدها لتكون بداية لقصة حياته، وأغلب ظني أنه فكر في أن تكون مقدمة لنشر مذكراته. وهذا هو ما كتبه أبي عن طفولته: ① *سنة ١٩٠٠م - مع استنساخه - في سنة ١٩٠٠م - ما كتبه لأبيه.*

القلب وقد أورثتني طيبة قلبها . بقيت تربي أولادها منقطعة لهم إلى أن ماتت وأنا في سن الأربعين بعد أن عدت من العراق ، وبعد أن ولدت لي نادية التي كانت في السنة الأولى من عمرها عندما توفيت جدتها إلى رحمة الله .

* * *

ابنته

وإذا كان قد توقف عن كتابة تاريخ حياته في هذه الصفحة عند ذكر طفولة ابنته نادية فإنه يحسن بنا أن نشير إلى أنه ذكرها مرتين في مذكراته : الأولى فيما كتبه في دمشق بتاريخ - ٦ / ٥ / ١٩٤٤ م ، في هذه الأبيات .

« بنيتي نادية بنينة غالية
رأيتها مرة لاعبة لاهية
ولها رقيقة عمرها ثمانية
سألت ما الفرق في السن يا نادية
فأجابت : أنا أصغر عامين عما هيه
قلت : إذن بعد عامين أنتم سواسية
فأجابت : وهل تراها على سنها باقية ؟ »

ابنه

إنني لا أذكر شيئاً عن ذلك الشعر ، لأنني كنت إذ ذاك في السادسة كما يقول . لقد اطلعت عليه فقط بعد وفاة والدي ، ولكنني أذكر ما سمعته من حين لآخر من قول من يحيطون بنا الذين كانوا يتهامسون فيما بينهم ، أن أبي كان يتمنى أن يكون له ولد يكون لي أخاً وله وارثاً يحمل اسمه من بعده . ولكنني لم أكن أعلم أن الله قد رزقه بهذا الولد إلا بعد أن اطلعت على هذه المذكرات ، فوجدته قد ذكرني للمرة الثانية ، وذكر معي أن الله رزقه ابناً ليس كغيره من الأبناء . وهذا هو ما كتبه شعراً بتاريخ ١٥ / ١١ / ١٩٤٨ ، حيث قال :



القمع أن آتت ثمارها . فهذا الطلبة ، وتفرق الأساتذة وانعزل كل فى عمله وعين الحكومة ساهرة على الجميع . وانقسم الأساتذة إلى فريقين : فريق انصرف إلى عمله لا يتكلم إلا همساً ومن وراء حجاب ، وهذا هو الفريق الأكثر شجاعة والأقوى قلباً . وفريق آخر أخذ جانب الحكومة وتنكر لعاطف بركات وانقلب حرباً عليه وعلى شيعته .

ووقف إلى جانبه من الأساتذة اثنان أو ثلاثة ، أذكر منهم رجلاً قوى الإيمان نبيل الخلق هو المرحوم الأستاذ عبد الوهاب خير الدين ولا أنسى له هذا الموقف طوال حياته .

وأمضينا بقية العام فى هم ونكد . وبقي أحمد أمين على جهاده ، لا تخور عزيمته ،

كراسة مادة المحفوظات للسهنورى وهو طالب
بالسنة الثانية الثانوية فى مدرسة محرم بك الأميرية بالإسكندرية
السنة الدراسية ١٩١٠ - ١٩١١



من قصيدة مطولة بعنوان :

محاورة بين جازع وثابت

ألا من لصب نضو شجو مفعج صريع هموم ذى شجون مروّع
يظل سواد الليل يبكى من الأسى بلهفة مشتاق وأنة مّوجع
له وطن قد ضاع فهو مفعج على وطن فى العالمين مضيع
ولا حيلة غير البكاء لعاجز قريح الحشا واهى القوى متضع
فمرّ به خلّ له كان يتقى به صرف هذا الدهر فى كل مفعز
فقال له ما بالك اليوم باكيا أمن فقد خلّ ذاك أم من توجع

* * *

من قصيدة مطولة بعنوان :

نصيحة للمسلمين

يا بنى الإسلام لا تستسلموا لعدو ما رعى فيكم ذماما
لم يوقر شيخكم منذ أتى فى أراضيكم ولم يرحم غلاما
فاستحثوا العزم حتى تأخذوا منهم بالثأر عدلا وانتقاما
يا بنى الإسلام هذا وقتكم فانهضوا للعز أو موتوا كراما

* * *

من قصيدة مطولة بعنوان :

إلى صديق

العصر عصر العلم لكنى أرى ذا العلم كان على العباد وببلا
الناس قد جحدوا الشرائع كلها واستنكروا القرآن والإنجيلا
واستعملوا تلك العلوم حائلا ملئوا الزمان بها أذى والجيلا
سفكوا دماء الأبرياء وقتلوا الـ مستأمنين بسربهم تقتيلا

* * *

وقال من قصيدة مطولة :

مجاريا قصيدة لحافظ بك إبراهيم

ليــــلاى لا أنا حى يرجى ولا أنا مــــيت
لم أقض حق بلادى وها أنا قد قــــضيت

هذه ختام الكراسة المكونة من ٦٠ صفحة والتي اقتطفنا منها ٦ صفحات لأنه لم يتسع لها
المقام فى الكتاب ونرجو أن ننشرها كاملة فى كتاب مستقل . ولم ننشرها كاملة لأنها ؟

من الملهى وكاد اللل ىتنصف فأبصرت فى شارع كبر فى زاوية مظلمة منه صبلن
صغرلن قد انتحلا تلك البقة من الأرض وتوسد كل منهما ذراعى رفقه وناما كأنهما
متعانقان. لم يسع هذلن المنكودلن ما خلق الله من فراش وثر وراش فوسعهما بطن
الشارع، ولم بجد إلا أذرعهما يتوسدانها فناما فى ذك الشارع والناس تروح وتغدو
ولا تكاد تشعر بوجودهما، والمنعمون فى قصورهم ينامون ملء عيونهم ولا يشعرون
بأن فى الأرض أشقاء.

* * *



الجزء الأول

في فترة إقامته
للدراسة بفرنسا
من ١٢ / ٨ / ١٩٢١
إلى ٩ / ٥ / ١٩٢٦

